مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا عدد 02 خاص -أفريل2022 ص ص: 330-347
ر ت م د (ISSN): 2602-618X /ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

مدينة تيهرت في اسهامات كتاب المدرسة الاستعمارية الفرنسية من خلال المجلة الأثرية والجغرافية لمدينة وهران (1878م- 1910م)

The City Of Tiaret In The Contributions Of The Book Of TheFrench Colonial School Through The Archaeological And Geographical Magazine Of The City Of Oran

(1878 AD- 1910 AD)

صدوقي امحمد♦

جامعة شريف بن سعدية سوق اهراس seddouki11@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 30/ 10/ 2021م تاريخ القبول: 2022/02/17 تاريخ النشر: 2022/04/30

الملخص باللغة العربية:

تعد الجمعيات العلمية التاريخية والأثرية التي تأسست عشية الغزو، استمرارا لمشاريع البحث العلمي، الذي بادرت به اللِّجان المشكلة من طرف الحكومة الفرنسية حيث اشتغلت وفق آليات وبرامج أعدت لهذا الغرض، على غرار الجمعية الاثرية والجغرافية لمدينة وهران، التي تأسست في سنة 1878 م، وهي رابع جمعية علمية أنشأت في الجزائر.

انصبت اهتمامات الجمعية الأثرية والجغرافية لمدينة وهران من خلال مجلتها B S G A O على التشخيص الأثري للمنطقة واستنطاق التراث المحلي الذي أعطى له كتابها بعدا خاصا، تجلت مظاهره في الشواهد الأثرية ومقتنيات الانسان القديم واستخدم المؤرخون تقنيات البحث وسائر العلوم المكملة الأخرى للوصول إلى أهداف استعمارية .

الكلمات المفتاحية: تيهرت؛ التاريخ الاستعماري؛ الجمعيات العلمية؛ المجلة الجغرافية؛ البلديات الأهلية.

Abstract: The historical and archaeological scientific societies that were established on the eve of the invasion, are a continuation of the scientific research projects initiated by the committees formed by the French government, where they worked according to mechanisms and programs prepared for this purpose, similar to the archaeological and geographical association of the city of Oran,

♦ المؤلف المرسل

which was founded in 1878 AD, which is the fourth Scientific association established in Algeria.

The interests of the Archaeological and Geographical Society of Oran, through its magazine BSGAO, focused on the archaeological diagnosis of the region and the investigation of the local heritage, which gave her book a special dimension. Its manifestations were manifested in archaeological evidence and the holdings of ancient man. Historiens used research techniques and other complementary sciences to reach colonial goals

Key words: Tiaret ; Colonial History ; Scientific Societies ; Geographical Magazine ; Civil Municipalities.

مقدمة:

عملت المدرسة الاستعمارية على البحث في تاريخ الجزائر والاشتغال على دراسة مواضيعه المختلفة، قام فيه كتابها بجرد ممنهج لموروثها التاريخي والأثري، حيث ارتكز في مجمله على الشروط الأيديولوجية وفلسفة طمس الهوية الجزائرية، ضمنت مرجعية فكرية وتاريخية شرعت لوجود الاستعمار واستقراره أولا، وواجهة لتوسعه وانتشاره في مرحلة لاحقة ، وقدمت الأبحاث والدّراسات في هذا المجال انجازاتها العلمية وتقاريرها الدورية النمطية المستهلكة، وكانت المشاريع واضحة في أهدافها مثلت أقصى ما يمكن أن يصل إليه تخمين باحث استعماري يريد كتابة تاريخ جديد للمستعمرة، أريد فيه تحطيم(ميكانيزمات) بناء الدولة الجزائرية في أبعادها التاريخية نفيا وتشكيكا تارة في حضارتها التي امتدت عبر العصور، وتارة بربط تراثها المادي والأثري وما اشتمل عليه من مقتنيات استخدمها الانسان القديم في حياته اليومية بحضارات مجاورة أو مجموعات بشرية غازية ليبقى الجزائري في دائرة البدائية والتخلف أو التبعية وبالتالي استحالة التحرر وبعث وطن مستقل مجددا .

شكلت مدينة تيارت وما اشتملت عليه من موروث ثقافي وحضاري امتد منذ فجر التاريخ، موضوعا خصبا للدِّراسة والبحث، استعان فيه الكاتب المؤرخ بتخصصات اعتبرها علوما مساعدة ومكمِّلة مثل علم اللِّسانيات لدراسة النقوش والرموز والكتابة التي تواصل بها سكان المنطقة قديما، والأثار لمعرفة نمط العمارة والحصون والطرقات وأنابيب السقي المستخدمة في الزراعة لقياس مدى التطور الحضاري الذي تميز به من استوطن منطقة تيارت، والجمعية الأثرية لمدينة وهران من الجمعيات الاستعمارية التي

شاركت في البحث عن تراث المنطقة، توزعت أنشطتها الأثرية، ما بين البحث في مقتنيات الإنسان القديم، إلى اكتشاف الرموز والكتابات المسيحية على المقابر والأضرحة، وتقارير عن رحلات قام بها الباحثون من خلال لجان علمية ومن هنا نتجه إلى طرح إشكالية خاصة بالموضوع :

ما طبيعة البحث التاريخي والأثري الذي اشتغل عليه كتاب المجلة في منطقة تيهرت؟ وما هي المواضيع التي استوجبت دراستها؟ هل خصَّ المشروع العلمي الاستعماري للمنطقة كل جوانب الحياة الثقافية والفكرية والحضارية على مدى كل الأزمنة التي مرت بها ؟ أم اكتفى بدراسة مراحل معينة من تاريخها ؟ بمعنى آخر هل كان الطرح الاستعماري للمواضيع محلَّ الدِّراسة والمتعلقة بالأرض والانسان المحلي موضوعية في أساسها ؟ أم تميزت بالانتقائية والتحيز استخدم فيها الباحث المؤرخ فرضيات أسقط فيها أحكامه بالتعميم تارة والتأويل تارة أخرى ؟

من أجل اثبات هذه الأبعاد والتوجهات ارتأينا وضع منهجية للموضوع اعتمدت على المنهج الاحصائي الذي حصر المواضيع المدروسة في أعداد المجلة، والمنهج التحليلي النقدي الذي استوجب مني كباحث في التاريخ الاستعماري الرّد على الكتابات بأسئلة استندت على المنطق التاريخي واستحضار الشواهد المخالفة لأحكامهم المجتزأة، كما اعتمدت على المنهج التنظيري المقارن في ايجاد المتناقضات بين الحادثة التاريخية ومثيلاتها، أو تساؤلات اعترضت مسار كتابتي أثناء تحريري للمقال حاول رواد المدرسة الاستعمارية سد فراغاتها التاريخية بالإهمال والتجاهل، تضمنت مقالات المجلة حول مدينة تيهرت دراسات مونوغرافية واثرية وتاريخية تنوعت في أدبياتها بين الجرد والتصنيف وانصبت في جل اهتمامات كتابها نحو التأويل والاسقاط واعتبار الحيز التاريخي للمدينة خارج نطاق الرومان والبيزنطيين قديما ضمن دائرة التخلف والبدائية.

.1- الجمعية الجغرافية والأثرية لعمالة وهران:

هي رابع جمعية علمية من حيث تاريخ التأسيس في الجزائر المستعمرة بعد كل من الجمعية الأثرية لعمالة قسنطينة التي أنشأت في سنة 1852م والجمعية التاريخية للجزائر سنة 1856م وأكاديمية البحوث التاريخية التي اصطلح على تسميتها بأكاديمية (HIPPONE) بعنابة سنة 1863م.

تأسست الجمعية بمبادرة من ضابط في البحرية الفرنسية الملازم دي فيسو تروتابا (TROTABAS) (1828م-1897م) الذي شغل مدير ميناء مرسى الكبير بوهران خلال

اجتماع عقده يوم 15 أفريل 1878م، أعلن فيه عن تأسيس الجمعية وتوضيح الهدف من إنشائها الذي جاء في الإعلان "العمل على معرفة تاريخ وجغرافية الجزائر وهو الهدف الأساسي، وجمع المعلومات المتعلقة بالمستعمرة الجميلة وإحصاء ثرواتها الطبيعية وتسطير المشاريع الاستعمارية وعرضها ومناقشتها والتطرق إلى مختلف الأعمال والفنون المتعلقة بهذا الشأن، والإشراف على جميع المشاريع المستقبلية في المستعمرة تلك هي مهمتنا فعلى جميع من يهمه الأمر الاتصال بنا ومساعدتنا على استكمال المهمة "[1]

تزامن إنشاء الجمعية مع جو عام ساد فرنسا نفسها تميز بالنشاط العلمي المؤسساتي، تم فيه اعتماد خمس جمعيات علمية سنة 1878م في كل من مونبوليي (MONPELIER) وروان (ROUEN) ونانسي (NANCY) وبيرجيراك (BERGERAC) وبيريجيو (PERIGUEUX) عملت على تطوير البحث العلمي الفرنسي، داخل الجزائر خلال القرن التاسع عشر على غرار الجمعية الجغرافية لمدينة باريس التي اهتمت بالبحث في جغرافية إفريقيا من خلال البعثات العلمية الاستكشافية خصصت لها اعتمادات مالية ضخمة لتسيير نفقات البعثات مثل تلك التي حصل عليها ديفريي (DUVEYRIER) ووصلت أنشطته إلى طومبوكتو[2]

1.1- أعضاؤها المؤسسون

دي فيسو تروتابا (TROTABAS) رئيسا للجمعية.

كرامير (KRAMER) نائبا للرئيس.

دي ليون (DE LINON) أمينا للخزينة.

جاك (JAQUES) أمينا عاما للجمعية.

كما ضمت اللَّجنة في عضويتها كل من غين (GUIN) وبويماغ (PUIMEGUE) وبوتي (BOUTY) وهوغوني غارنيي (GUARNIER) وروير (ROUIRE) فيما

1 MONTBRUN (THéodors) « A nos lecteurs » in **B.S.G.A.O ,** vol 5, Année 1885, p 11
2 SEBBAH (LUCIEN) « LA France Maçonnerie à Oran de 1832 à 1914, Périmes Aux Amateurs De Livres, Paris, 1990. p 437

اختير الاشتراكي (ROMEL) الذي نفته حكومة نابوليون الثالث من فرنسا سنة 1852م رئيسا شرفيا.[3]

توسع نشاط الجمعية إلى البحث الأثري بعد ثلاث سنوات من إنشائها سنة 1881م بإلحاح من الباحث لويس دومايغ (DOMAEGHT)[4] الذي اشتغل على جمع وإحصاء ومعاينة الآثار الرومانية في العمالة فتغير اسمها ليصبح" الجمعية الجغرافية والأثرية لعمالة وهران". توالى على رئاستها دي فيسو تروتابا (TROTABAS) من 1878م إلى 1896م و العقيد دوريان (DURIEN)[5]من 1896م إلى 1904م والدكتور جول كاسار (GASSER)[6] من 1905م إلى 1912م وفرانسوا دوميرغ (DOMERGUE)[7] من 1912م إلى 1924م الذي تجددت رئاسته من 1924م إلى 1928م وعليه ضمَّت الجمعية في عضويتها أعضاء اشتغلوا في الوظائف الحرَّة وضباطا عسكريون سمحت لهم وزارة الحربية بالانخراط ضمن قانون خاص سن لأجل هذا الغرض بتاريخ 2 أفريل 1904م، ومفكرون فرنسيون أملى عليهم الوضع الاجتماعي المستقر في مدينة وهران المشاركة في أنشطتها البحثية أمثال ألبير كامبس (CAMPS) في حين لم يتمكن الجزائريون من الحصول على عضويتها غداة تأسيسها إلا اثنين منهم وهما علي محي الدين (1851م — 1918م)[8]و محمد حاج حسن (1819م- 1906م) إذ كانت ترفض طلبات ترشحهم وأقصى عدد منهم وصل إلى ست وعشرين منخرط كان في عهدة أوغست موليريا (MOLIRIAS) [9] بين (1904م-1905م) إضافة إلى الدكتور جول كاسير (GASSER) خلال رئاسته

---

3 ibid, p 437

4 لويس دومايغ (LOUIS DOMAEGHT) ولد في دنكرك سنة 1831 م عسكري برتبة رائد عمل في مكتب التجنيد بوهران وأنهي خدمته العسكرية سنة 1879 م كآمر سرية، باحث في الآثار ودراسة النقوش، انتخب عضوا في المجلس الإداري بعد اجتماع الجمعية العامة التي انعقدت في 24 ماي 1880 م اقترح اسمه في الكثير من المرات لرئاسة للجمعية لكنه اكتفى بمنصب أمين عام لها للتفرغ للبحث الأثري أعد الكثير من التقارير والبحوث التي نشرت بالمجلة. مات في 1898 م

5 إيزيدور دوريان (ISIDOR DERRIEN) ولد في 1839 م اشتغل عسكريا في أعمال الطوبوغرافيا بالجزائر وإفريقيا

6 جول قاسار (JULES GASSER) ولد في 1865 م طبيب جراح تقلد مناصب برلمانية وإدارية في الجزائر

7 دومارغ فرانسوا (DOUMERGUE FRANCOIS) ولد في 1858 م بكاركاسون CARCASSONNE اشتغل في التعليم وانتخب كعضو في الجمعية سنة 1898م عضو في لجنة التحرير بالمجلة سنة 1900 م ثم ارتقى في المناصب إلى أن أصبح رئيسا اشتغل على البحث في الحياة البرية والنباتات مات في 1938 م

8 محمد محي الدين من أعيان مدينة وهران دخل المقاومة الفكرية والسياسية للمزيد أنظر:

BENKADA (SADEK) «Bibliographie et Histoire Sociale en Algérie XIX e XX siècles» Oran URASC cahier n 5 p 86

9 ولد في تلمسان 1855 م أستاذ الحلقة العربية في وهران ومحافظ متحف وهران اقترح إقامة "مدرسة علم الاجتماع في المغرب" في وهران ولجنة مشتركة مغربية وهرانية ضمن الجمعية أقيل من منصبه سنة 1905 م.

للجمعية بين سنتي (1905م-1912م) في وقت كانت العروض تنهال على الأوروبيين من أجل الانخراط فيها . مما يشير إلى مناخ طبعه الاقصاء والتهميش تجاه الجزائريين على غرار باقي المؤسسات العلمية والتعليمية الأخرى ألقى رئيسها فرانسوا دومارغ (DOUMERGUE) خطابا علق فيه على مردودها العلمي جاء فيه ما يلي " يصعب علينا إيجاد بديل عن المؤسسين الذين تداولوا على رئاسة الجمعية كونهم أسَّسوا ناديا علميا قويا، مع ذلك يمكننا الإشادة بمن خلفهم من أعضاء تحلوا بالإرادة والعزيمة في الحفاظ على مكتسبات الجمعية " [10]

2.1- إنجازاتها العلمية:

نشرت الجمعية بداية من تاريخ تأسيسها سنة 1878 م، مجلة فصلية لنشاطها تحت اسم "مجلة الجمعية الجغرافية لعمالة وهران " ارتبط نشاطها بالبحث الجغرافي فقط إلى غاية سنة 1881م أين توسع نشاطها ليضم الأبحاث التاريخية والأثرية تحت تسمية جديدة "مجلة الجمعية الجغرافية والأثرية لعمالة وهران " الشيء الذي لم يرض الباحثين في مجال الآثار والتاريخ القديم فطالبوا سنة 1882م بتخصيص فصل كامل تحت عنوان "مجلة الآثار القديمة"[11] ولكن تحت غلاف المجلة إلى غاية 1885م أين تم دمج المقالات التاريخية والأثرية دون تخصيص فصل لها بعد زوال مبررات التحفظ والاصرار على تغيير تسميتها. عكست المقالات التاريخية والأثرية والجغرافية التي نشرت تباعا اتجاهات إيديولوجية فرضها انتماء كتاب المجلة إلى تيار الجمهورية الثالثة التي خلفت الإمبراطورية الثانية بعد هزيمتها أمام ألمانيا وسقوطها سنة 1870م، على غرار كتابات أوجين إيتيان (ETIENNE) والجنرال ليوتي (LAUYAUTY)، كما منح الجزائريون فرصة الكتابة في المجلة أمثال سي أحمد بن رحال والهاشمي بن محمد وأبو بكر عبد السلام بن شعيب والشريف قاضي ومحداد عبد القادر، توسعت لتضم بعض الأقلام الإفريقية على غرار

10 DOUMERGUE (F) « Préface Au Bulletin Du 50 éme Anniversaire »in **B.S.G.A.O** vol 48, Année 1928 p 105

11 BEN KADA (SADEK) « La Société savante rupture et continuité d'une tradition associative : le cas de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran » **Revue Insaniyat,** Numéro 8, Année 1999pp 119-120

السنغالي با محمادو أحمادو تناولت مواضيع المجلة مسألة الحقوق الأهلية الجزائرية ودراسات تعلقت بالاثنوغرافيا المغربية وتاريخ الإسلام في الجزائر وغيرها.[12]

-رتبت المجلة عناوينها على الشكل التالي :

1- القوانين الإدارية الخاصة بالجمعية وارتبطت بالمجالس المنعقدة خلال فترة الإصدار.

2- مذكرات وملاحظات للمقالات التي صدرت في العدد.

3- إحصائيات جغرافية تناولت الموانئ الزراعة الديموغرافيا والاقتصاد وملاحظات تعلقت بالطقس في عمالة وهران اعتمادا على رصد محطة سانتا كروز (SANTA CRUZ)

4- سجلا لوفيات كتاب المجلة ومراسليها وبعض الأعلام الذين خدموا في الجمعية بصيغة خطاب تأبيني لرئيسها خلَّد فيه مآثر الشخص المتوفى.

5- فهرس العدد واحتوى على ترقيم مقالاتها.

6- إعلانات الجمعية خاصة بالمنشورات والمؤلفات الجديدة.[13]

3- مواضيع الدِّراسة:

3-1. تيارت دراسة مونوغرافية قديمة وحديثة :

حدد الكاتب كانال موقع مدينة تيارت واستعرض تنظيمها الاداري الذي طغى عليه الجانب التاريخي فالمدينة -حسب نظره- أقيمت على انقاض موقع عسكري روماني قديم شكلت حصانة مع ملحقتها الادارية أَفلو على مدى عقود طويلة وكانت احدى ترسانات الامير عبد القادر وقواعده الخلفية عادت تسمية المدينة الى تانقارتيا مقر أسقفية موريطانيا القيصرية، أعاب الكاتب على العرب الفاتحين تدمير المدينة واقتلاع حجارتها سنة 51ه

12 BEN KADA (SADEK) « La Société savante… op, cit, 126-127
13 BEN KADA (S) « Un Patrimoine culturel : les publications de la Société de Géographie et d'Archéologie D'Oran (1878-1988) » Revue Insaniyat, numéro 12, Année 2000 pp 115-116

/681م[14] وهي مقاربة خضعت لسياق استعماري الهدف منه التأصيل لهمجية العرب الفاتحين القائمة على الغزو والهدم لاستخراج الكنوز والسلب وجمع الغنائم.

1.2- الآثار الرومانية: عثر مونتيار (MONTINART) وهو عضو مساعد للإدارة المحلية على منحوت صخري بأبعاد قياسية 88 سم طول و53 سنم عرض، حمل كتابة مسيحية للإمبراطور روماليوس اوغستول آخر أباطرة الرومان ، يقع الاكتشاف على بعد 3 كلم شمال مدينة تيارت حيث كان مقر أسقفية في القرن الخامس الميلادي، أكد الكاتب على مسيحية الأرض التي وجد فيها الصخر المنقوش أعطى له الكاتب ابعادا دينية مسيحية.[15]

كتب كانال (CANAL) مقالا تحت عنوان تيارت تحت السيطرة الرومانية أشار فيه إلى بقايا أعمدة وتيجان وقصور رومانية بالمكان المسمى تانقارتيا، (TANGARTIA) وهو مكان مجهول -حسب رأيه - يعتقد أن مدينة تيارت قد بنيت على أنقاضه، أدرج الكاتب في مقاله حسابات وقياسات هندسية لشكل العمارة في الموقع الأثري بعد فحص ومعاينة معمارية للأبراج المحيطة به، حدَّد سمكها وارتفاعها كما قام بالتأريخ لعمر البناء والذي عاد -حسب رأيه- الى النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، أشار الكاتب بازدهار التجارة في الاقليم من خلال عملات رومانية فضية وبرونزية وعدد كبير من العملات الذهبية، حملت أسماء أباطرة رومان طرح بعدها امكانية وجود تعمير بشري روماني في الموقع المذكور.[16]

أشار الكاتب الى اجتهادات القائد الفرنسي دومايغ (DOMAEIGH) في تحديد موقع المدينة التي استنسخت -حسب رأيه- من مستوطنة رومانية قديمة لازالت بناها التحتية المتمثلة في الطرقات ومجاري المياه والأقنية وأبراج المراقبة ظاهرة للعيان، استعرض الكاتب بعض النقوش الرومانية التي حددت معالم المدينة أملا في استجلاء فرضية وجود مقر أسقفي بيزنطي قديم أقيم على أرضها في القرن الرابع والخامس

14 CANAL « Monographie Ancienne Et Moderne » in B S G A O, imp. Typographique et lithographique Fouque, Rue Tbuillier Oran 1900 p3

15.DEMAEGHT (L) « Inscription De Tiaret » (BSGAO) 9 Année. - Tome vi. Janvier-Mars Typographie Paul Pierre, Boulevard Oudinot 1886

16 CANAL, Tiaret Sous La Domination Turque, B S G A O, ibid., p4

الميلادي، ولكنه لم يتوصل إلى نتيجة حاسمة دعمت هذا الاتجاه، فيما أكد على أهميتها الاستراتيجية والعسكرية من خلال مدخلها الشمالي المتمثل في خوانق قرطوفة والتي اعتبرت حسب نظره ممرا فتح جغرافية الصحراء في اتجاه الجنوب، فكلمة تيهرت التي حملت مدلولا عربيا حرفت عمدا عن تسميتها الرومانية القديمة تالورت، (TALOURT) لا تعدوا أن تكون تهجئة لنطق عربي غير سليم استخدم بشكل سيئ من قبل المؤرخين والجغرافيين والنسَّابين العرب، على غرار ابن خلدون والادريسي والبكري وأبو الفداء حيث أصبحت المدينة مع مرور الوقت عاصمة للشيعة الرستميين في الجزء الأوسط من المغرب (الجزائر) أعاب الكاتب على الادريسي اعتماده على التقويم الفلكي في تحديد أبعاد ومسافات المدينة ضمن ثقافة العرب القائمة على تأريخ المكان وخلطه بالجغرافيا عند بقوله « تبعد المدينة عن البحر مسافة ثلاثة أيام »[17]

امتلكت المدينة مقومات استمرارية الدولة في بنائها القبلي القائم على التواصل العرقي مع قبائل مطماطة ومكناسة ولواتة، التي وفرت موردا زراعيا رئيسيا تمثل في قطعان الماشية والخيول ومحاصيل القمح والتين وغيرها من البساتين التي انتشرت بجوارها. على حد تعبيره —وفي قالب كرونولوجي استعرض الكاتب تأسيس مدينة تيهرت على يد عبد الرحمن بن رستم في 144ه 766م اشتهرت المدينة بحيوية أسواقها وتنوع مبادلاتها التجارية من السلع المعروضة كالتوابل والزيوت وقطعان الماشية غير أن التحالفات التي جرت بين الاسبان وبعض القبائل أضعف من سلطة الدولة وعرضها للزوال وهي حروب انهزم فيها الرستميون وأتت على زوال المملكة بعد 160 سنة تأسيسها.[18]

انتقل الكاتب الى ترجمة ببلوغرافية للمؤسس الأول عبد الرحمن بن رستم فذكر مولده ببلاد فارس وتنقله الى العراق وتتلمذه على يد ابي عبيدة مسلم بن أبي كُرَيمة التميمي، وسفره مع الحجيج نحو بلاد المغرب، كما استعرض شيئا من خصائله القائمة على الكرم وغزارة العلم وحسن التدبير، الشيء الذي سمح له لأن يكون أهلا للخلافة، وفي فصل خصَّصه لحروب الرستميين مع الفاطميين والأموين بالأندلس، استعرض الكاتب صراعهم القائم على حماية الحدود واخماد الثورات خاصة مع كتامة، طغى على مقال الكاتب أسلوب الوصف لسيرورة الأحداث التي ميزت تاريخ المغرب الأوسط أشبه ما يكون بحروب الثأر بين القبائل مغراوة وبني حماد[19] في انتقاص متعمد الغاية منه التقليل من شأن

17 CANAL, TIARET…op cit,p 5
18 CANAL, TIARET …,ibid p13
19 19 CANAL, TIARET…op cit, p24

القبائل المحلية في بناء الدولة وتسيير مؤسساتها على قاعدة قصور ثقافة العرب وبعدها عن الحضارة.

وفي فصل خصصه الكاتب لمدينة تيهرت تحت حكم الاتراك استعرض دورها القائم على جباية الضرائب لصالح الأوجاق في اشارة إلى الاتراك حيث كان نصيب المدينة من الضرائب المحصلة ما يعادل العشر بما تناسب وعدد سكانها، وهي ضرائب باهظة أتت على انهيار المدينة وهجرة سكانها في اتجاه تلمسان في ظل حكومة مركزية جمعت اللُّصوص وقطاع الطرق -على حد تعبيره- [20]

اتصلت تيهرت بالبحر عن طريق المهربين القادمين من جنوة وعلى طول الطريق الواصل بين تيهرت والبحر المتوسط شمالا أقيمت مستودعات تجارية وأسواق نمت بالحركة فعلى مدى عصور متأخرة، شكل الممر الرابط بين مستغانم ومينا وتيارت محطات استوقفت الباعة والتجار المتجولين، لاتزال بعض العملات الذهبية للإمبراطورية البيزنطية موجودة حتى يومنا هذا مما يدل على ثراء المدينة وتوسع معاملاتها التجارية.[21]

في فصل خصصه للتطور التاريخي للمدينة في العصر الحديث، استعرض الكاتب موقع المدينة الذي تداخلت فيه اهمية المكان مع حيويته الاستراتيجية، كنقطة تقاطع بين المعالم الجغرافية لعبت فيه عوامل الطبيعة دورا اساسيا في مكانتها الاقتصادية وشكلت أحد اهم المواقع التجارية بين تجارة الجنوب ومحاصيل التل، فلا غرابة في تأقلم المستوطنين الجدد مع البيئة الداخلية للمدينة التي تشابهت إلى حد بعيد مع تلك الموجودة في الوطن الأم (الميتروبول) أهَّلَها الموقع لأن تكون ضمن الحاضنة الاجتماعية للمناطق الاستيطانية المعروفة في الجزائر تناول الكاتب طوبوغرافية المناطق التي ضمَّت بعض القلاع الفرنسية والمخازن الغذائية والكنائس ومكاتب الضبَّاط والفنادق ومكاتب البريد وغيرها، وكلها مرافق حيوية أقامها الاستعمار من أجل الاستيطان وفقط[22] أما المدارس فأستعرض الكاتب مدرسة البنين الابتدائية التي ضمَّت 200 طالب وأشرف على إدارتها مدير و 4 مساعدين ومدرسة البنات بإدارة الراهبات الثالوثيات، بالإضافة إلى

20 ibid, p 30
21 ibid , p32
22 Idem, 35

روضات الأطفال التي تكفلت بها مجموعة الراهبات الثالوثيات في إطار التعليم المسيحي داخل مباني توافقت مع المواصفات التي أملتها الكنيسة.[23]

2.2- دراسة وصفية للبلدية الأهلية آفلو:

كتب فابر (Fabre) خصائص المجتمعات الأهلية في الوحدات الادارية التابعة لمدينة تيارت (البلديات) حيث عمل على سنّ قوانين خاصة بالأوروبيين تماشت مع تلك المطبقة داخل فرنسا الأم (الميتروبول) لخصَّ الكاتب بعض الاستثناءات الطفيفة تبعا لخصوصية المنطقة، أما في ما تعلق بالإجراءات الادارية المرتبطة بالحقوق والواجبات المتخذة من طرف الادارة الاستعمارية، أدخل الكاتب السكان المحليين ضمن تسمية الأهالي ليس لهم حق التصويت واتخاذ القرار في ادارة شؤونهم الأهلية بل تركت الادارة الاستعمارية مصير المناطق الجنوبية ذات الأغلبية السكانية المحلية بيد السلطة العسكرية، التي حكمها ضابط عسكري بمساعدة مكتب عربي.[24]

تأسست بلدية آفلو بمقتضى مرسوم حكومي صادر بتاريخ13 نوفمبر 1871م، وأدمجت البلدية مع مدينة تيارت بعدما كانت تابعة لمدينة معسكر، حيث جاء تقسيمها الى دائرتين دائرة تيارت وافلو حيث لا يمكن اعطائها صفة الاستقلالية لعدم حصولها على موارد كافية لإدارة شؤونها بنفسها، فسَّرها الكاتب بالعجز عن تغطية احتياجاتها لذا فهي في حاجة ماسة إلى تكملة من دوائر قريبة وتتمثل دور آفلو في جباية الضرائب ورفع التقارير إلى عمالة وهران الواقعة تحت سلطتها الاقليمية.[25]

استعرض الكاتب الجانب الطوبوغرافي للمدينة والتي اقتبست من دراسة أعدَّها ضباط الأركان في الجيش الافريقي بأمر من الحاكم العام جون كامبون، (CAMBON) اتخذت فيه الدائرة شكل مثلث غرقت إحدى زواياه في الصحراء بينما شكل وجهه المقابل حدا فاصلا لسهل سرسو واندمج حده الشرقي مع حدود مقاطعتي وهران والجزائر بطول 400 كلم، تخلل منحدره الشمالي نهر الشلف وروافده التي صبَّت في البحر المتوسط في حين تخلل منحدره الجنوبي انهار نبعت من الينابيع باتجاه رمال الصحراء، وبلغ متوسط علوها

23 CANAL, TIARET…op cit,p38
24 FABRE, Monographie de la commune indigène de Tiaret-Aflou, B S G A O, op.cit. fig. et carte, 1902 p. 255
25 FABRE, ibid, p. 259

عن سطح البحر900م فيما وصل علو جبل عمور الواقع على حافتها الجنوبية اكثر من 1200م .[26]

تحدث الكاتب عن البنية التضاريسية لمنطقة تيارت وعن مكونات طبقاتها الجيولوجية، ترسبات من الحجر الجيري ومن طبقات طباشرية احتوت على مستودعات ضخمة من المياه، فيما امتدت السهول على مساحة 1.155.000 هكتار تنوعت بين نشاط زراعة القمح والشعير ونشاط الرعي الذي مارسه الأهالي منذ عصور، وشكل موردا رئيسيا في تعاملاتهم التجارية، أصناف من قطعان الماشية والإبل والبقر تحكمت ظروف الطبيعة في تنقل القبائل التي اعتمدت على نشاط الرعي من خلال رحلات موسمية صيفا وشتاء.[27]

انتقل الكاتب إلى توضيح مشاكل الإقليم، فاستعرض قلّة التساقط وتذبذب المناخ وتأثير الأمراض الموسمية على الأعشاب التي اقتاتت عليها قطعان الماشية، كما استعرض أيضا الحلول المبتكرة من قبل الأهالي في تغطية العجز عن طريق شراء الحبوب وكميات الشعير من الأقاليم المجاورة كإقليم فيالار (تيسمسيلت) حاليا، في وقت سعت فيه الإدارة الاستعمارية إلى استغلال السهول الخصبة عن طريق شركة استعمارية، استولت على الاف الهكتارات وقامت باستغلالها واستحداث شبكة خطوط للسكة الحديدية، ربطت بين المناطق والبؤر الاستيطانية تمهيدا لاحتكارات جعلت اقتصاد المنطقة فيما يخص زراعة الحبوب والشعير مكملا لاقتصاد فرنسا الأم (الميتروبول) وعلى شاكلة ما كان موجودا في افريقيا قديما أثناء الاحتلال الروماني.[28]

استعرض الكاتب نمط التدريس القائم على مناهج بدائية في تعليم النشء، بالكاد تنحصر في كيفيات تعلم القراءة والكتابة، تعليم غير منتظم ومدارس لا تفي بالغرض في أحسن الأحوال، نظرا لتنقل البدو الرّحل بين المناطق بحثا عن الكلأ طعام قطعان الماشية، خضع التعليم في عمومه لسلطة روحية مثلتها الزوايا مثل زاوية سي الطيب بلفوضيل ومونتها القبائل فيما عرف(بالرَتْبَة) وهي موارد مخصصة لطلبة العلم من أبناء القرى.[29]

26 FABRE, Monographie de la commune indigène, op cit,p261
27 ibid ,p263
28 Idem ,p268
29 Ibid, P 270

2-3- البلدية الأهلية TRIZEL (السوقر): وهي التسمية الاستعمارية لمدينة السوقر التي نسبت إلى الحاكم العام للجزائر تريزل أقيم إلى جانبها مركز استيطاني في 25 فيفري 1895م، ضمَّ عائلات أوروبية منحت لها مساحات شاسعة اقتطعت من أراضي القبائل المجاورة إضافة إلى امتيازات وقروض، أقيم المركز في قلب سهل سرسو تطور وأصبح يعجُّ بالحركة التجارية مزارع ضمَّت 125 عائلة من المستوطنين الذين وصل عددهم الى 582 نسمة بلغت مساحة الأراضي المقدمة لهم 250 هكتارا تنوعت بين زراعة الكروم التي انتشرت على مساحة 60 هكتارا كما خصصت المساحة المتبقية خصصت لمحاصيل متنوعة، اخرى قدمت للمستوطنين امتيازات وتسهيلات مقابل صبرهم على البقاءفي هذه البيئة القاسية .[30]

اكتسب المركز أهميته التجارية من خلال سوق أسبوعي نشط كل يوم سبت، تم تبادل البقالة والحبوب وبعض السلع القطنية بيعا وشراء غير أنَّ سنوات الجفاف التي مرَّت على المنطقة كانت وراء تردي الأوضاع التجارية بقليل من المثابرة والاصرار، عاد المركز الاستبطاني إلى تبوأ مكانته السابقة فعلى طول الطريق بين فرندة وآفلو قديما أقيمت العديد من المراكز الرومانية في شكل استحكامات عسكرية ومحطات تجارة وأبراج مراقبة فيما استمر تبادل السلع بين اليهود والسكان المحليين بالمقايضة تمثلت في الصوف والجلود مقابل الشموع والأقمشة.[31]

خَلصت الدِّراسة التي أعدّها فابر (FABRE) إلى تعريف منطقة تيارت، غير أنَّ التعريف اقتصر على الجوانب الوصفية للمعالم الجغرافية حصرها الكاتب في دراسته فقط والغاية منها ابراز الطبيعة الجيولوجية والجغرافية وعمَّا إذا كانت صالحة للاستيطان من قبل المعمرين أو تشابه مناخها مع البيئة التي اعتاد عليها الاوروبيون في مواطنهم الاصلية. دعَّم الكاتب حُججه في اتجاه نجاح الاستيطان في مدينة تيارت وضواحيها، بما خلفه الرُّومان من دولومنات ومواقع محصنة ومزارع كان لهم أسبقية زراعة محاصيلها، فقد اعتبر الكاتب زراعة الزيتون مكرمة رومانية بامتياز، كما أشاد الكاتب بما وصل اليه الغزاة القدامى من ازدهار شمل العمارة والأبراج والقصور وأنابيب السقي وغيرها من المرافق التي بنوها في ملاكو، وثنية الحد، وعين القبور، وترناتو، ولبيار، والخربة، وبوشيشة هذا الامتداد الحضاري الذي شمل منطقة السهوب، على حدِّ وصف الكاتب لم يتوقف الأَّ

30 FABRE, Monographie de la commune indigène, op cit ,p273
31 Ibid 275

نتيجة غزو البرابرة الذي جاءوا من شبه الجزيرة العربية في اشارة إلى الأمراء الفاتحين، الذين نشروا الخراب في ربوع المنطقة وعادوا بها الى قرون التخلف. [32]

أشار الكاتب إلى بعض العادات المتبقية في تقاليد سكان منطقة تيارت، وهي عادات متوارثة من طقوس دينية رومانية قديمة، قدّم الكاتب نموذجا لتعاون السكان في مقاومة الاحتلال العربي إلى جانب البيزنطيين ودفع مقتهم الشديد للعرب -حسب رأيه- إلى التحصن في جبال الونشريس خوفا من الضرائب وحفاظا على عقيدتهم الدينية التي اعتنقوها منذ قرون -في إشارة إلى الدِّين المسيحي- فحركات التمرد لم تهدأ ضدهم فيما كان قمع الثورات من قبل العرب دأبهم المفضل،آثر السكان البربر من قبائل مغراوة ولواتة وضع انفسهم في خدمة العرب لقاء امتيازات منحوها لهم، [33] تأسف لعدم قيام السلطات الاستعمارية بعمل جدّي للكشف عن النقوش والكتابات التي حملت قراءات دينية مسيحية، خلال فترة الحروب ضد المسلمين غير أنه استدرك قوله على قلتها أثبتت في نظره - مقاومة البزنطيين للعرب على نسق ديني اعتبره الكاتب محاولة منهم لحصار المدِّ الوثني كالكتابات التي وجدت في جبل لجدار وروت وقائع معركة قام بها جستينيان ضد عقبة بن نافع في المنطقة، طرح الكاتب فرضية وجود مقابر احتوت على أسماء شهداء مسيحين خدموا في الجيش البزنطي، وقاوموا الاحتلال العربي -على حد وصفه- [34]

2-4- البنية الدمغرافية لسكان تيارت (النظم القبلية)

فئة (الأحرار)

أطلق الكاتب عليهم النسب الشريف(Bonne Naissance) منهم العرب من أولاد سيدي خالد الذين سكنوا المنطقة بعد طرد الشاوية نحو الشرق، ومغراوة نحو جبال الونشريس، في صراع قبلي استمر خلال فترة الاضطرابات وهي القرون المظلمة أو فترة الاحتلال العربي لمدينة تيارت -على حد وصفه- شكل الاحرار كونفدرالية جمعت القبائل التالية أولاد بوعطف، بنو الاحمر، وأولاد شايب، وبنو عامر، واولاد زيان، وأولاد عزيز، فيما ظهرت سلالات زنجية احتفظت بتركيبتها الاجتماعية وعاداتها الصحراوية قدمت من الجنوب واستقرت قرب منطقة الاغواط، عاشت في سلام مع سكان المنطقة والى حين غزو

32 FABRE, Monographie de la commune indigène, op cit p 277
33 Ibid279
34Ibid p 279

الاتراك للمنطقة خضع العرب الاحرار لهم في مقابل دفع الجزية وهي الضرائب التي كانوا يؤدونها للنظام المركزي التركي الذي استقر في مدينة الجزائر.[35]

استعرض الكاتب مشاركة السكان في الثورات التي اندلعت ضد الاستعمار الفرنسي، منها ثورة الامير عبد القادر حيث رافقت قبيلة الاحرار الأمير الى غاية اقليم متيجة حيث شاركت في المعارك التي اندلعت مع الفرنسيين، كما شاركت في ثورة اولاد سيد الشيخ، ولكن بعد فشل الثورة عادت قبيلة الحرار إلى تقاليدها السابقة في مزاولة حرفة الرعي[36]

أولاد كرليف : وتضم القبائل الاربع التالية اولاد الخروبيص أولاد بورنانة والصحاري والشراقة جاء اولاد كريليف الى منطقة تيارت في اعقاب الغزو العربي على حد تعبير الكاتب **750**ه / **1350**م حيث تفرعت القبيلة الى بطونوهم اولاد سيدي سعم أولاد سالم وأولاد الأمين وأولاد محمد بن يعقوب وأولاد مسموح، سكنت القبائل منطقة فرندة وجنوب تاورزوت [37]

القنادزة :

انحدر نسبهم إلى أحمور بن الجندور شكلت القبيلة الغالبية الدموغرافية لسكان المنطقة غير أن عددهم تناقص إلى حد كبير في وصل إلى حوالي **170** شخص بنى القنادزة قصرا خاصا بهم معاصرا لتأسيس الجزائر العاصمة، التي كان يطلق عليها **جزائر بني مزغنة** تتكون قبيلة القنادزة من العور والبحلات الإمام وتاسس تطورهم العسكري والاقتصادي على الغزو.[38]

كما احتوت المجلة على اكتشافات أثرية ونقوش تحمل كتابات في منطقة تيارت فق عثر لويس فابر على مذبح تعبدي على بعد 2كلم غرب المدينة في المكان المعروف جنان المهبول أقيم فيه نصب بدا غريبا في طريقة بنائه وعاد إلى العصور الوثنية القديمة امتد في مسار من الحجر الرملي، ومثل الحد الاقصى للغابة الوطنية بقرطوفة تألف من منصة انحدرت بلطف واتصلت بأخدود عرضه **30**سم، ارتفعت المنصة ب**4** امتار كما أشار دي لا

35 FABRE, Monographie …op cit p 284
36 Idem p 286
37 Idem p290
38 Idem291

بلانشير إلى مذبح آخر يقع في جبل بوغزول، لم يتمكن الكاتب من فك رموزه الأسطورية التي احتواها نظرا لقدمها ومحو اثارها [39]

احتوت المجلة أيضا على اكتشافات أثرية خصت نقوشا صخرية لمعلم جنائزي(احتفاء بالنصر) عثر عليه دي لاهوت(DE LAHAUT) رئيس المكتب العربي بنواحي مدينة تيارت، وهو حجر منقوش احتوى على اسماء شخصيات محاربة، ظهر فيه شعار الحرب واسم المحتفل بالنصر كما بينت الكتابة المتبقية دور الشخص المعني في حماية رفاقه في السلاح من هجمات شنها الأعداء. استطاع الكاتب استقراء كتابته على الرغم من تضررها نتيجة تقادم العهد.[40]

استنتاجات عامة للدِّراسة:

1- قدم كتاب المجلة دراساتهم على شكل جرد للمكون الديموغرافي ممثلا في الجماعات السكانية كما قام الكتاب أيضا بتوزيع الأدوار الحضارية داخل المكون الاجتماعي الجزائري فاعطى الكاتب الاستعماري صفة الحضارة على البربر في مقابل نزعها من الوافدين الجدد العرب ضمن جدلية اختزلت صراعا كان فيه الدين المسيحي محورا فاصلا.
2- أشار كتاب المجلة الى وجود تعمير قديم من خلال بعض الدلومنات والتحصينات والاستحكامات العسكرية التي أقيمت على الطرق والمعابر التجارية من قبل الرومان والغرض منها محاولة الدفع باتجاه التأصيل لاستيطان أوروبي قديم، حقق فيه الغزاة الرومان نهضة حضارية في مقابل وصف الفاتحين العرب (بالغزاة) وهو تعبير استعماري كلاسيكي استعمل كسياق مستهلك في جل كتاباتهم.
3- أشار كتاب المجلة الى التنظيم الاداري المستحدث من قبل الادارة الاستعمارية الفرنسية، والذي شمل المقاطعات الادارية كافلو وفرندة وغيرها اعطى لها كتاب المجلة تسميات لشخصيات استعمارية حكمت المستعمرة ضمن مشروع فرنسة المحيط.
4- حاول كتاب المجلة التاصيل لانتشار الدين المسيحي في بعده اللاتيني البزنطي من خلال انتشار الكنائس والشواهد التي حملت قراءات جنائزية مسيحية كان الهدف من ورائه تسويق انطباع مسيحية الأرض والانسان في مجتمع تيارت قديما .

39 Fabre « Amel sacrifice prés de Tiaret avec planche » BSGAO vol XVIII, 1903p 136
40 De Lattre « des pierres blancs » BSGAO vol XXIV, 1904 Imprimerie Typographique et Lithographique L. FOUQUE, Oran p 305

5- استند كتاب المجلة عند اشارتهم الى الحروب بين الممالك والقبائل في منطقة تيارت على كتابات بن خلدون لتفسير طباع العرب التي جبلت على الجشع وحب المال وسفك الدماء وجمع الغنائم وهي صفة عربية متوارثة لدى كتاب المجلة الهدف منها محاولة استرجاع ما عرف عندهم بالحضارة الاصيلة التي لم تندثر عند السكان وبالتالي قبول الاستعمار الفرنسي في شكله الحالي والالتفاف حول مستوطنيه .

6- تحدث كتاب المجلة عن التنوع البيئي لمنطقة تيارت من خلال بنيتها الجيولوجية التي احتوت على مخزونات هيدروغرافية ومساحات صالحة للاستقرار والنمو والهدف منها اعطاء انطباع للمستوطنين بنجاح النموذج الاستعماري في بعده الاستيطاني وإظهاره تجربة ناجحة

7- إن طرح فرضية وجود نقوش مسيحية على الشواهد والأضرحة واستخراج الصلبان من مقابر قديمة ليست بالمقاربة الدقيقة التي تدفع باتجاه التأصيل لتواجد مسيحي يقدم دليلا على اعتناق سكان منطقة تيارت له، وإذا كان ذلك صحيحا هل باستطاعة المؤرخ الاستعماري إثبات حقيقة اعتناق سكان العالم حاليا للدِّين الاسلامي على اعتبار وجود مساجد في عموم المعمورة .

الخاتمة:

تلازم البحث في التراث المحلي لمنطقة تيارت عند كتاب المجلة مع النفي والتشكيك والتقليل من شأنه إذا ما تعلق الأمر بفجر التاريخ ومقتنيات الانسان القديم، فيما ساق هؤلاء إسقاطا دلَّ على أي إبداع في فنون العمارة وهندسة البناء وتقنيات حرفية أخرى، إلى الغزاة الرومان، وعليه حاول هؤلاء ربط تاريخ منطقة تيارت بالمستعمرين القدامى، ترسيخا لفكرة تواجد أسلافهم على أرضها منذ عصور طويلة، وتأسيسا لنظرية الفضاء المفتوح، وقبول الغزاة كأمر حتمي لا سبيل إلى مقاومته مستقبلا ، جزائر رومانية المنشأ، مسيحية الدّين، لاتينية اللِّسان.

قائمة المراجع:

1-BEN KADA (s) « un patrimoine culturel : les publications de la société de géographie et d'archéologie d'Oran (1878-1988) » revue insaniyat, numéro 12, année 2000.

2- BEN KADA (Sadek) « la société savante rupture et continuité d'une tradition associative : le cas de la société de géographie et d'archéologie d'Oran » revue insaniyat, numéro 8, année 1999.

3- BENKADA (Sadek) «bibliographie et histoire sociale en Algérie xix e xx siècles» Oran CRASC cahier n 5
4- CANAL, monographie ancienne et moderne in b s g a o, imp. Typographique et lithographique fouque, Rue tbuillier Oran 1900
5- De LATTRE « des pierres blancs » BSGAO vol xxiv, 1904 imprimerie typographique et lithographique l. fouque, Oran

6- DEMAEGHT « inscription de Tiaret » BSGAO neuvième année. - tome vi. janvier-mars 1886 typographie Paul pierre, boulevard Oudinot
7- DOUMERGUE (f) « préface au bulletin du 50 éme anniversaire »in B.S.G.A.O vol 48, année 1928
8- FABRE « Amel sacrifice près de Tiaret avec planche » BSGAO vol xviii, 1903
9- FABRE, monographie de la commune indigène de Tiaret-Aflou, b s g a o, fig. et carte, 1902
10- MONTBRUN (Theodoros) « à nos lecteurs » in B.S.G.A.O , vol 5, année 1885
11- SEBBAH (Lucien) « la France maçonnerie à Oran de 1832 à 1914, périmes aux amateurs de livres, paris, 1990.